دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلّد 34، (ملحق)، 2007

المرأة والسلطة في الإسلام
الخواتين السلجوقيات [447-511هـ/1055-1117م]
أنموذجاً

عصام مصطفى عقلة*

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى بيان دور المرأة السلجوقية في النظام السياسي والإداري والعسكري السلجوقي في الفتـرة (447-511هـ/1055-1117م) والتعرف على مقدار دورها في تلك النواحي، مع بيان حجم استقلالها الإداري والمالي، والإدارة التابعة لها، والذي خولها القيام بذلك الدور الكبير في الدولة السلجوقية، ومحاولة التعرف على أسباب ضخامة هذا الدور.

وخلصت الدراسة إلى أن الأصول التركية والتراث القبلي التركي قبل الإسلام له أثر كبير في تميز هذا الدور لزوجات السلاطين السلاجقة عمن سبقهن من زوجات الخلفاء أو الأمراء أو الملوك الذين حكموا البلاد الإسلامية قبل السلاجقة، إضافة إلى تميز المرأة السلجوقية بوجود إدارة تابعة لها، وقوات عسكرية تقوم بقيادتها في المعارك التي تخوضها الدولة، ودورها الكبير في سياسة الدولة الداخلية والخارجية.

الكلمات الدالة: المرأة السلجوقية، الإدارة السلجوقية، الدور السياسي للمرأة.

المقدمــة

امتاز العصر السلجوقي بميزات عديدة صبغت المناطق الخاضعة لحكم السلاجقة الذين يعودون في نسبهم إلى قبائل الغز التركمانية التي هاجرت إلى مناطق ما وراء النهر، واعتنقت الإسلام السني تأثراً بمجاوريهم من سامانيين وغزنويين، وبدأت بالظهور في العالم الإسلامي باعتبارها قوة سياسية ذات أهمية منذ بداية القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، ثم دخلوا أراضي الدولة الغزنوية في سنة 411هـ/1020م إلا أنهم ما لبثوا أن اصطدموا بالغزنويين فهزموا هزيمة نكراء، وهربوا باتجاه خوارزم إلا ان وفاة السلطان الغزنوي القوي محمود بن سبكتكين (387-421هـ/997-1030م) واضطراب أوضاع الدولة الغزنوية مكنهم من إعادة تثبيت قوتهم في أراضي الدولة الغزنوية، واصطدموا عسكرياً مع سلطانهم الجديد مسعود بن محمود (421-432هـ/1030-1042م) فهزموه في معركة داندنقان 431هـ/1039م، وسيطروا على خراسان التي اتخذوها قاعدة لمد سلطانهم على مناطق العالم الإسلامي بزعامة قائدهم طغرلبك (431-455هـ/1039-1063م) الذي ما لبث أن سيطر على بغداد في سنة 447هـ/1055م ليصبحوا بذلك سلاطين العالم الإسلامي التابع للخلافة العباسية[1]، ولعل من أهم ميزات ذلك العصر إعلاء شأن المرأة خاصة فيما يتعلق بدورها في سياسة الدولة، والدور الرسمي المتميز للمرأة (الخاتون) السلجوقية في الناحيتين السياسية والعسكرية، وما نتج عن هذا الدور من ظهور إدارة خاصة بزوجات السلاطين السلاجقة لمساعدتهن على القيام بالأدوار الرسمية الموكلة لهن.

ولما كان العصر السلجوقي يمتد من سنة 447هـ/1055م إلى 590هـ/1194م في فارس والعراق، وامتد إلى بعدها بقرنين في الأناضول، وتعددت الإمارات السلجوقية [سلاجقة فارس والعراق، سلاجقة خراسان، سلاجقة كرمان، سلاجقة الشام، سلاجقة الروم] وهو ما يجعل المناطق الجغرافية واسعة الرقعة، ويجعل المدة الزمنية طويلة وهو الأمر الذي يوسع الموضوع طويلاً، لهذا ارتأيت حصر الموضوع وتحديده في سلاجقة فارس والعراق منذ سنة 447هـ/1055م وهو تأريخ دخول السلاجقة لبغداد، وحتى سنة 511هـ/1117م تأريخ وفاة السلطان محمد بن ملكشاه آخر السلاطين المستقلين بحكم فارس والعراق إذ خضع من جاء بعده لسلاجقة خراسان.

تميز وضع المرأة السلجوقية عن غيرها من نساء الخلفاء أو نساء الأمراء المستقلين أو نساء الأمراء البويهيين بأنها الوحيدة التي مارست السلطة بشكل رسمي أو قانوني، بينما

* قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية.
تاريخ استلام البحث 2006/6/8، وتاريخ قبوله 2006/12/13.

مارس النساء السابقات للعصر السلجوقي دوراً سياسياً أقل من السلجوقيات، والأهم أنهن مارسن ذلك الدور من وراء ستارة دون أن يكون لهن الشكل الرسمي أو الوضع القانوني لممارسة تلك السلطة، ودون مهام رسمية منوطة بهن؛ لذلك كانت ممارستهن للسلطة تعدياً لا سند قانوني له، واستغلالاً من أولئك النسوة لضعف أزواجهن أو أبنائهن من خلفاء أو أمراء أو ملوك[2].

ولما كان هذا الدور للمرأة السلجوقية لم تسبق إليه المرأة في العصور الإسلامية السابقة كان لابد أن يكون للتراث القبلي لقبائل الغز التركية التي ينحدر منها السلاجقة التأثير الأكبر في هذا الدور، وهو الأمر الذي يؤكده بعض المؤرخين لتلك القبائل. فقد لعبت المرأة الغزية دوراً مهماً في مجتمع القبيلة قبل إسلام تلك القبائل وبعد إسلامها، ويدل على ذلك ما وصفت به تلك المرأة "مصارعات بصلابة، يسابقن الفرس"[3] وورد في كتاب الأوغوزنامة بأن نساء الغز قد تولين إدارة شؤون القبيلة[4] مما يؤكد أن بعض الغزيات كن يمارسن قبل قيام الدولة السلجوقية مهام عسكرية وسياسية في القبيلة، وهو الأمر الذي انعكس على دورهن المميز بعد قيام الدولة السلجوقية.

وأكد هذه المسألة نظام الملك الطوسي (ت485هـ/1092م) وزير السلطان ألب أرسلان (455-465هـ/1063-1072م) ثم ابنه ملكشاه (465-485هـ/1072-1092م)، حين بين أن السلاجقة باستشارتهم لنسائهم وتدخلهن الرسمي بالسلطة فعلوا ذلك تأثراً بأصولهم وعاداتهم قبل قيام دولتهم، فيذكر أن "استشارتهن لم تكن من تقاليد الفرس، وإنما هي من عوائد التركمان، أخذها السلاطين [السلاجقة] عن ملوك تركستان، لأنهم تربوا في الأصل على أيديهم، وجروا على خطتهم"[5].

ولما دخل السلاجقة المشرق الإسلامي، وأقاموا دولتهم، نقلوا إلى الدولة التي أسسوها عاداتهم وتقاليدهم، وعادات ملوكهم في تركستان، ومن ضمنها المكانة المميزة لزوجة السلطان ومنحها دوراً سياسياً وعسكرياً في الدولة، وهو الأمر الذي لم تسبقهم إليه أي من الدول الإسلامية السابقة لهم.

ولما كان السلطان يتزوج بأكثر من امرأة، فإن الدور السياسي والعسكري أُنيط عادة بالزوجة المحظية التي يقدمها السلطان ويمنحها الصلاحيات دون باقي الزوجات، وفي أحيان محدودة، وفي حالات وصول سلاطين صغار في السن إلى منصب السلطنة، فإن الدور السياسي والعسكري يناط بأم السلطان، وهو ما حدث في حالة تركان وابنها محمود بن ملكشاه (485-487هـ/1092-1094م)، وزبيدة وابنها بركياروق (487-495هـ/1094-1101م).

هذا وتقلدت في الفترة مدار البحث منصب الخاتون/الزوجة الأولى للسلطان سبع نساء، قمن بالأدوار المقررة لهن ضمن النظام السلجوقي، وإن قام بعضهن بالتعدي على سلطات السلاطين خارج إطار الصلاحيات المعطاة لهن، والجدول رقم (1) يذكر أسماء هؤلاء الخواتين.

وحتى لا يتشتت الموضوع ويتحول إلى تراجم للخواتين، فسنقوم بتناول موضوع المرأة حسب موضوعات محددة بحيث نتناول دور كل خاتون (من زوجات السلاطين) في ذلك الموضوع حسبما تسمح به المصادر المتاحة من عصر السلاجقة، ولهذا سنتناول بداية ألقاب الخواتين وإقطاعاتهن ثم الإدارة التابعة للخواتين والتي مارسن من خلالها الأدوار المرسومة لهن ثم الدور السياسي، فالدور العسكري لهن.

ألقاب زوجات السلاطين

منحت الأميرات السلجوقيات المنحدرات من سلاطين ونساء السلاطين السلاجقة اللاتي احتللن مكان الزوجة الأولى للسلطان من غير المنحدرات من الأسرة السلجوقية لقب خاتون الذي يعني المرأة الشريفة[6]. ولهذا كان هذا اللقب مرادفاً لكل زوجات السلاطين أو الأميرات السلجوقيات[7] لدرجة أن ابن الأثير عندما يتحدث عن زبيدة أم بركياروق قبل تولي ابنها السلطنة يتحدث عنها دون إضافة لقب خاتون إليها[8]، ثم بعد تولي ابنها السلطنة يضيف لها لقب خاتون[9] مما يؤكد ما ذهبنا إليه بداية من أن لقب خاتون يمنح للزوجة الأولى من بين زوجات السلطان أو/أم السلطان التي تقوم مقام الزوجة الأولى.

وتميزت زوجات السلاطين بلقب إضافي وهو الملكة[10]، وملكة نساء العالم[11] الذي هو انعكاس للقب السلطان نفسه[12]، فقد خاطب رسول الإمبراطور البيزنطي إسحاق كومنين (449-451هـ/1057-1059م) القادم لعقد هدنة مع السلطان طغرلبك سنة 449هـ/1057م خاتون الترنجان في رسالة أرسلها إليها للتدخل عند السلطان لعقد الهدنة بقوله "عبد مولاتنا الملكة الجليلة والخاتون الكريمة"[13]، وأرسل الخليفة المقتدي بأمر ا (467-487هـ/1072-1094م) إلى تركان خاتون في سنة 477هـ/1084م رسالة خاطبها فيها بقوله: "الدار العالية الشاهنشاهية السلطانية الملكية الجلالية الخاتونية ملكة نساء العالم"[14].

الجـدول رقم (1)
أسماء الخواتين

رقم	الاســـم	الأصـل	السلطـان	الوفـاة	مصادر ترجمتها
1	الترنجان أم أنوشروان كانت متزوجة قبل السلطان طغرلبك من خوارزم شاه.	أم ولد، جارية غير محددة الأصل.	طغرلبك.	452هـ/1060م	ابن الأثير، الكامل: 12، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 162، ابن العبري، تاريخ الزمان: 105.
2	فاطمة بنت الخليفة القائم بأمر ا العباسي.	عباسية عربية.	طغرلبك (تزوجها سنة 454هـ/1062م).	496هـ/1102م	ابن الأثير، الكامل: 366/10، ابن العمراني، الأنباء: 198، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 8/8، منجم باشي، جامع الدول: 22/1.
3	أم سليمان.	----	طغرلبك (تزوجها سنة 451هـ/1061م).	-	ابن الأثير، الكامل: 6/10، منجم باشي، جامع الدول: 26/1.
4	خاتون السفرية.	----	ألب أرسلان.	466هـ/1073م	ابن الأثير، الكامل: 76/10، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 321، منجم باشي، جامع الدول: 40/1.
5	تركان بنت طمغاج خان الجلالية.	من سلالة ملوك القراخانيين ملوك ما وراء النهر.	ملكشاه (تزوجها سنة 456هـ/1064م) محمود بن ملكشاه (أمه).	487هـ/1094م	ابن الأثير، الكامل: 41/10، 240.
6	زبيدة بنت ياقوتي بن داود جغري السلجوقي.	سلجوقية (ابنة عم السلطان ملكشاه).	ملكشاه مارست منصب السيدة الأولى (الخاتون) في عهد ابنها بركياروق 487هـ/1094م.	492هـ/1098م	ابن الأثير، الكامل: 288/10، منجم باشي، جامع الدول: 71/1.
7	كوهر بنت مودود بن إسماعيل بن ياقوتي.	سلجوقية من آل ياقوتي بن داود جغري.	محمد بن ملكشاه.	511هـ/1117م	العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق95، 114، 115، منجم باشي، جامع الدول: 95/1.

إقطاعات الخاتون

لما كانت الخاتون تمارس دوراً سياسياً وعسكرياً مطاوياً منها ضمن الهرم السياسي والعسكري السلجوقي، كان لابد أن تمنح الخاتون مبالغ مالية مقابل هذه الأدوار، ولتقوم بالإنفاق على القوات العسكرية التابعة لها، وعلى الإدارة التي تساعدها في تسيير شؤونها، ولأن الدولة في عصر السلاجقة لم تكن تمنح كبار موظفيها الإداريين والعسكريين أموالاً بل إقطاعات يستغلونها بدل الرواتب، فقد منحت الخاتون إقطاعات بدلاً من الأموال النقدية لتغطية رواتب موظفيها. ولما كانت المصادر شحيحة في تقديم معلومات دقيقة عن هذا الموضوع إلا أننا سنحاول تقديم صورة تقريبية أو اعطاء فكرة محدودة عن ذلك.

كشفت المصادر في مناسبة زواج السلطان طغرلبك من السيدة فاطمة ابنة الخليفة القائم بأمر ا عن إقطاعات الخاتون، عندما أشارت إلى اشتراط الخليفة لإتمام الزواج شروطاً منها منح ابنته جميع إقطاعات الخاتون الترنجان (الخاتون المتوفاة) وأملاكها ورسومها في سائر الأصقاع، ومن ضمنها مدينة واسط، ثم بعد مفاوضات استقر الأمر على منحها إقطاعات الخاتون الترنجان في العراق، وكان من ضمنها بعقوبا[15].

ويبدو أن إقطاعات السيدة فاطمة ازدادت بعد زواجها من طغرلبك وانتقالها إلى همذان عاصمة السلطان، ومما يدل على ذلك ما أورده ابن الجوزي من أن عميد الملك الكندري (قتل456هـ/1064م) وزير طغرلبك ثم وزير سليمان بن داود جغري (455هـ/1063م) طلب من ابنة الخليفة جواهر للسلطان عندها، فلما أنكرت تعرض لإقطاعاتها[16]، ولما كانت سلطة الكندري بعد وفاة طغرلبك في فارس فيبدو أنه أضيف لها إقطاعات في بلاد فارس بعد زواجها.

ومما يدل على اتساع إقطاعات الخاتون وكثرة مواردها ما ذكر عن خاتون السفرية من أنها توفيت عن ثروة واسعة جداً[17]، وكذلك ورد أن مدينة سميرم قرب أصبهان كانت من ضمن إقطاعات كوهر خاتون[18]، ووصف الحسيني والراوندي كثرة الأموال التي تمتلكها تركان خاتون، فقال الحسيني: "إن الأموال [أموال الدولة] كانت بيدها ففرقتها فيهم [الجنود]"[19]، وقال الراوندي: "وبذلت تركان خاتون الأموال الطائلة"[20] "وأخذت تركان خاتون تبذل الأموال، وتهب أمراء الجيش وضباطه الأموال الطائلة"[21] وهو الأمر الذي يدل على كثرة الأموال لديها.

والجدير بالذكر هنا أن تلك الإقطاعات التي منحت للخواتين كانت مقابل الخدمات التي يقمن بها للدولة بصفتهن السيدات الأول، لذلك كانت تستعاد عند وفاتهن أو وفاة السلطان، وتحول تلك الإقطاعات لمن تحل بمنصب السيدة الأولى، ويدل على ذلك أن السلطان طغرلبك قدم جزءاً من إقطاعات الترنجان بعد وفاتها إلى الزوجة الجديدة ابنة الخليفة كما أسلفنا، وكذلك قيام السلطان ألب أرسلان بمطالبة الخليفة وابنته بإعادة الإقطاعات الممنوحة لابنة الخليفة أثناء حياة طغرلبك ومنحها لزوجته خاتون السفرية[22].

الإدارة الخاتونية (الديوان الخاتوني)

لأن المرأة (الخاتون) السلجوقية لعبت دوراً رسمياً سياسياً وعسكرياً في الدولة -كما أسلفنا- ولنتمكن من فهم ذلك الدور وتوضيحه لابد لنا بداية من تبيين الجهاز الإداري الذي كان يساعد الخواتين في ممارسة تلك الأدوار، أو ينوب عنهن فيها.

سمي هذا الجهاز الإداري رسمياً في الدولة السلجوقية باسم الديوان الخاتوني[23]، وهو أول جهاز إداري يتبع لزوجات السلاطين أو الخلفاء أو الأمراء أو الملوك في تاريخ الدولة الإسلامية، مثلما كانت مراسلة الخلافة رسمياً لزوجات الملوك أو الأمراء المسلمين تظهر لأول مرة في العصر السلجوقي عندما راسل الخلفاء العباسيون زوجات السلاطين السلاجقة[24] وذلك بسبب الدور المرسوم لهن والذي كانت تمارسه كل منهن رسمياً.

لم يظهر هذا الجهاز الإداري (الديوان الخاتوني) بصورة متكاملة منذ قيام الدولة السلجوقية بل بدأ ينمو تدريجياً حتى اكتمل في عهد السلطان ملكشاه، وللأسف فإن المصادر لا تسعفنا بتقديم معلومات عنه في عهد السلطانين طغرلبك وألب أرسلان وإن أوردت معلومات تدل على وجوده أو مهامه.

كان الديوان الخاتوني يلقب في المخاطبات المرسلة إليه من قبل الخلفاء أو الأمراء أو السلاطين بألقاب منها "الدار"[25] و"الدار العالية"[26] و"الدار العزيزة"[27]، وعرف العاملون به بلقب يتبع أسماءهم وهو "الخاتوني" سواء كانوا من الإداريين أو العسكريين من أمثال: فروخ الخاتوني[28] وأبو طاهر الخاتوني[29]، والأمير أرقش الخاتوني[30]، وصلاح الدين صالح الخاتوني[31] وغيرهم.

وكان لهذا الديوان رسوم خاصة به محددة، وصلاحيات واضحة، ولعل أبلغ وصف فيه ما أورده العماد الأصفهاني من وصف لديوان كوهرخاتون قبل تولي الكمال السميرمي (قتل516هـ/1122م) الوزارة لها بقوله: "وكان الديوان الخاتوني في الوزارة العميدية خاملاً خامداً جامداً، ماله غير رواتب موظفة ووظائف مرتبة، ومعايش مرسومة وعوائد معلومة، ليس لنوابه في غيرها أمر ولا نهي، وخاتون راضية بالهدوء متغاضية عن النمو، فعرفها الكمال ما في الخمول من ذهاب رونق السلطنة، وعزل ولاية القدرة المتمكنة"[32] مما يوضح أن للديوان الخاتوني رسوم محددة وصلاحيات معلومة، بل كانت له قوانين محددة مكتوبة أو شفوية عرفية محفوظة يجب الاطلاع عليها من قبل مسؤولي الديوان لمعرفة واجبات العمل به والاختصاصات المرسومة له ليقوموا بممارسة تلك الاختصاصات، وهو الأمر الذي تدل عليه إشارة العماد الأصفهاني نقلاً عن أنوشروان بن خالد القاشاني (532هـ/1137م) الخبير في الإدارة السلجوقية والمعاصر لها تعليقاً على تعيين "الكمال السميرمي نائباً لوزير الخاتون، وكان جديداً على الإدارة الخاتونية فقال: "فلما تولى الكمال نيابة وزارة خاتون، ولم يكن عنده علم من ذلك القانون انضم إليه العزيز فأرشده ودبره وعلمه بالرأي"[33].

وكان رجالات الإدارة الخاتونية ممن لا يتغيرون بشكل سريع، وذلك لأن هذه الإدارة على تماس مع حريم السلطان، وبالتالي لا يجوز إدخال إداريين بشكل متواصل إلى هذه المؤسسة، ولا يتم تبديلهم بشكل سريع لاطلاعهم على أسرار تلكم الحريم، ومن هنا كانوا يدخلون في سلك الديوان الخاتوني، ويستمرون في الخدمة فيه، ولعل أبلغ إشارة إلى هذه القضية رد كوهرخاتون على رسالة وزيرها الجورقاني التي أراد فيها عزل نائبه الكمال السميرمي خشية تعاظم نفوذه، حيث أجابته بقولها: "وأنت تعلم أيها العميد أن دور الْحرمة مبرمةٌ لها معاقد العصم، محكمةٌ لها قواعد العِظَم، وهي محجبةُ الستُور، مصونَةٌ وجوه أسرارها من السفُور -ولا سيما الملكة ومن في دارها- ومحجباتٌ أستَارها وأسرارها، فما يجوز أن يتولاها في كل قريبٍ غريب، وما يحسن أن يتجدد في كل حين لها مستَنَاب ومستَنيب"[34].

ومن خلال بعض الإشارات نستطيع الاستنتاج أن هذه الإدارة كان لها مقر دائم في عاصمة الدولة حيث مقر إقامة الخاتون ملحقاً بقصر الخاتون في العاصمة[35]. وكان من مهام هذا الديوان، والتي تمكنا من استنتاجها من خلال اختصاصات وأعمال موظفي الديوان الخاتوني ما يلي:

1. الإشراف على إدارة أملاك الخاتون وإقطاعاتها.
2. الإنفاق على الموظفين التابعين للخاتون من إداريين وعسكريين.
3. الإشراف على شؤون القوات العسكرية التابعة للخاتون.
4. استقبال الرسائل الواردة إلى الخاتون والرد عليها.
5. استقبال المبعوثين الواردين إلى الخاتون وإرسال مبعوثين من قبلها إلى من تريد.
6. تنظيم الدخول على الخاتون وتحديد رسوم التعامل معها وتنظيم مواعيدها.

وتكون الجهاز الإداري التابع للخاتون – وهو جهاز مستقل عن إدارة السلاطين، وضمن إدارة الدولة- من إدارة كاملة وأطلق عليه كما أسلفنا الديوان الخاتوني، وكان على رأس هذا الديوان:

1. الوزير:

كان الوزير –وزير الخاتون- يرأس جهازها الإداري كاملاً، ويتبع إليه جميع موظفي إدارتها، وهم مسؤولون أمامه، بينما هو مسؤول أمام الخاتون، وقد تولى هذا الديوان وزراء كثر، كان هذا الديوان خطوتهم للوصول إلى أعلى المناصب الإدارية في الدولة السلجوقية، ومنها وزارة السلطان نفسه.

وذلك بسبب دعم الخواتين لهم، مما أدى إلى صراع عنيف بين رجالات الخاتون الذين دخلوا في إدارة الدولة، وبين بقية رجالات الإدارة السلطانية، وهو الأمر الذي أدى إلى مقتل خمسة من وزراء الخواتين بسبب ذلك الصراع العنيف.

وممن تولى الوزارة للخواتين حسب ما سمحت به المصادر:

أ. تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو الفارسي القمي (قتل 486هـ/1093م)

تولى وزارة تركان خاتون زوجة ملكشاه، ثم تولى بالإضافة لمنصبه الخزانة السلطانية، ثم رشح لتولي وزارة ملكشاه بعد مقتل الوزير نظام الملك الطوسي غير أن ملكشاه توفي قبل توليته، فولته تركان خاتون وزارة ولدها السلطان محمود بن ملكشاه[36]، ووصفه ابن الأثير بقوله: "كان كثير الفضائل، جم المناقب، وإنما غطى جميع محاسنه ممالأته على قتل نظام الملك"[37] ووصفه العماد الأصفهاني بقوله: "كان سريا بهيا، فصيح اللهجة، حسن البهجة"[38] وقتل وعمره سبعة وأربعون عاماً، وهو سليل وزير فارس، وخدم واليها، السرهنك ساوتكين الذي قدمه للسلطان وزوجته[39].

ب. شمس الدين مجد الملك أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى القمي (قتل492هـ/1098م)

وزير زبيدة خاتون أم السلطان بركياروق من سنة ثم ترك ديوانها وتولى وزارة ولدها السلطان بركياروق حتى قتل[40].

ج. عبدالرحمن السميرمي (قتل 490هـ/1096م)

لا نعرف عن هذا الوزير سوى أنه وزر لزبيدة خاتون أم بركياروق، وأنه قتل من قبل الباطنية، ويبدو أنه وزر لها بعد تولي مجد الملك وزارة السلطان بركياروق[41].

د. مختص الملك أحمد بن فضل الكاشي (قتل 521هـ/1127م)

هو أول وزير من وزراء كوهر خاتون زوجة السلطان محمد بن ملكشاه يظهر اسمه في المصادر، ويبدو أنه تولى المنصب حتى عزل سنة 502هـ/1108م، وكان طغرائياً للسلطان (كاتب إنشاء)[42].

ه. الأمير العميد محمد الجورقاني الطغرائي (ت 504-507هـ/1110-1112م)

تولى وزارة كوهر خاتون بعد مختص الملك سنة 502هـ/1108م إلى تاريخ وفاته التي وقعت بين سنة 504-507هـ/1110-1112م، وكان أيضاً طغرائياً للسلطان[43].

و. الكمال علي بن أحمد السميرمي (قتل 516هـ/1122م)

وزر لكوهر خاتون بعد وفاة العميد محمد، وهو من أهالي سميرم مدينة بالقرب من أصفهان، كان أبوه مشرفاً على زراعة إقطاع كوهر خاتون في سميرم لذلك كان الكمال يكثر من التردد لمقابلة الأمير العميد محمد الجورقاني وزير كوهر، فلما تولى الجورقاني عمادة بغداد، تولى السميرمي نيابة وزارة خاتون ثم بعد وفاة الجورقاني تولى وزارة كوهر خاتون[44].

2. نائب الوزير:

ومن بين مناصب الجهاز الإداري في الديوان الخاتوني

منصب نائب الوزير، والذي من مهامه النيابة عن الوزير في حال غيابه في جميع مهامه، ومساعدته أثناء تواجده على تسيير شؤون الديوان خصوصاً إذا علمنا أن وزير الخاتون كان يتولى في أغلب الأحيان وظائف في الديوان السلطاني إلى جانب منصبه في وزارة الخاتون، لذلك كان كثير الأشغال يحتاج إلى المساعدة في ديوان الخاتون كما يحتاج أحياناً إلى الغياب عن ديوان الخاتون، فيحتاج لمن ينوب عنه. وممن تولى هذا المنصب كمال الملك السميرمي في وزارة العميد الجورقاني[45].

3. المستوفي:

منصب في الديوان الخاتوني كان من مهامه الإشراف على الإدارة المالية للخاتون، واستيفاء الأموال من الإقطاعات الخاصة بالخاتون، وإدارة تلك الأموال واستثمارها، وممن شغل هذا المنصب الموفق أبو طاهر الحسين بن حيدر الخاتوني الذي شغل منصب المستوفي لكوهر خاتون[46]، ووصف بأنه "من صدور الدولة وأعيان المملكة وأفاضل العصر"[47]، وكان لدى المستوفي مجموعة من الموظفين لمساعدته في إدارة إقطاعات الخاتون، ومن هؤلاء أحمد السميرمي والد الكمال السميرمي الذي أصبح وزيراً لكوهر خاتون، وكان زارع غلات كوهر في مدينة سميرم، والمستوفي لضرائبها[48]. وصرح الموفق الخاتوني في شعره عن وجود نواب له في استيفاء الخاتون[49]. وللأسف الشديد لم تتح لنا المصادر فرصة معرفة معلومات أكثر عن استيفاء الديوان الخاتوني ولا عن موظفيه.

4. القوات العسكرية:

أكدت المصادر على وجود قوات عسكرية تابعة للخواتين بشكل دائم، وصرحت في بعض المناسبات بعدد القوات التابعة لهن والذي نستطيع تعميمه على جميع الخواتين، فأوردت المصادر أن الترنجان كان يتبع لها مجموعة كبيرة من الجند[50] وإن لم تحدد عددهم، في حين حددت المصادر لتركان خاتون عدد من كان يتبعها وهو عشرة آلاف مقاتل[51]، وهو العدد نفسه الذي كان يتبع لكوهر خاتون[52]. وكان يصدر للخاتون منشور من السلطان بتبعية هؤلاء الجند لها، وكانت رواتبهم تصرف من قبلها، ولذلك كانت تمنح إقطاعات مقابل ذلك[53].

وللأسف الشديد لم تُمكننا المصادر من الاطلاع على وظائف أخرى في الديوان الخاتوني، وإن تمكّنا من تحديد بعض الموظفين الآخرين في الديوان الخاتوني من خلال بعض الإشارات، من مثل الطغراء وهو منشئ الرسائل الذي يكتب الرسائل على لسان الخاتون إلى من تريد مراسلتهم، ومن يقوم بعرض الرسائل الواردة إلى ديوان الخاتون عليها، ففي رسائل أمين الدولة ابن الموصلايا ما يشير إلى أن الخاتون راسلت الخلافة العباسية، واستقبلت رسائل منها[54]، كذلك أشار نظام الملك إلى وجود حجاب للخاتون وخدام يخدمونها[55]. واستمر هذا الديوان الخاتوني يمارس دوره بعد انتهاء الفترة مدار البحث، حيث استمر في عهد محمود بن محمد (511-525هـ/1117-1129م)، ومسعود بن محمد (529-547هـ/1134-1151م) في فارس والعراق، وسنجر (511-552هـ/1117-1157م) في خراسان[56].

الدور السياسي للخواتين

لعبت الخواتين دوراً سياسياً بارزاً في الفترة مدار البحث، وكان لها علاقات سياسية ومراسلات مع الخلفاء والأمراء وملوك الدول المجاورة للسلاجقة سواءً الواقعة في العالم الإسلامي أو خارجه.

ويدل على المكانة العالية للخواتين سياسياً في الفترة مدار البحث ما كان لدى الخواتين من نفوذ عند السلاطين في الأمور السياسية أو في وراثة العرش أو في الإدارة السلطانية؛ حيث تدخلت الخواتين في تعظيم شأن بعض الموظفين وتقوية مراكزهم أو الإطاحة بهم من تلك المناصب.

فالمصادر تصف مكانة الترنجان خاتون وسلطتها على السلطان طغرلبك بأنها "كانت سديدة عاقلة، وكان يفوض أمره إليها"[57] وأن السلطان "كان سامعاً لها مطيعاً، والأمور مردودة إلى عقلها ودينها"[58] وأنها "صاحبة رأي وحزم وعزم"[59] ووصفها ابن العبري بقوله: "وكانت عزيزة على قلبه إذ كانت كل شؤون الدولة بيدها"[60].

أما خاتون السفرية زوجة ألب أرسلان والتي كانت ملازمةً لزوجها في كل أسفاره ومعاركه، وكانت ذات نفوذ كبير عليه حتى انه لما سكر على أبواب حلب -وكان محاصراً لها وذلك سنة 463هـ/1070م- وقام أثناء سكره بالتهديد بقتل حاكم حلب محمود المرداسي الكلابي (ت 467هـ/1074م) -الذي أعلن خضوعه لألب أرسلان-، واستباحة المدينة، وأنذر تصرفه بهياج قواته المسلحة باتجاه حلب، مما أجبر نظام الملك وزير السلطان على التدخل لتهدئته إلا أنه فشل ولم تفلح محاولات السياسيين والعسكريين المحيطين بألب أرسلان للحد من هيجانه، فاضطروا لطلب التدخل من خاتون السفرية التي خاطبها نظام الملك بقوله: "بادرينا يا خاتون وإلا الساعة يتلف العسكر وينهب بعضه

بعضاً فتدخلت الخاتون ودخلت إلى سرادقه، وبمجرد رؤيته لها استعاد بعض رشده، فقالت له: أنت سكران فنم، فلم يتمكن من رفض مشورتها، فلما أفاق من نومه أنبته بقولها: ما تحتشم تفتح عليك باب غدر، فاعتذر إليها[61]. وهو الأمر الذي يدل على مدى نفوذها وسلطتها عليه.

ووصفت المصادر المكانة العالية، والنفوذ الكبير لتركان خاتون في دولتي زوجها ملكشاه وولدها محمود بن ملكشاه فوصفها الخليفة العباسي المقتدي بأمر ا في رسالة بعثها إليها سنة 477هـ/1084م شكراً على تدخلها لصالحه عند السلطان ملكشاه بقوله: وأختتمه بشكر الدار العالية... وإيضاحها للمجلس السامي السلطاني ما على الخواطر الكريمة الإمامية من الثقل لما استمر في حق الرعية والخواص والحاشية... وبالغ في وصف ما صادفه من مناضلتها عن كل أمر استنجدت فيـه... حتى غودرت الأغراض في أسلال النجاح منظومة"[62] ووصفها الأصفهاني: "وكانت مستولية في أيام ملكشاه محكمة في الدولة مقدمة، ولما درج بقي تحكمها"[63]. وقال عنها الحسيني: "كانت مستولية على الأمور في أيام السلطان ملكشاه"[64] وكذا ذكرها الذهبي، فقال عنها: "وكان لها هيبة وصولة وأمر مطاع"[65]، ويعود هذا النفوذ الكبير لها والمكانة العالية من نشأتها وتربيتها وأصولها الملكية فهي من سلالة ملوك القراخانيين حكام ما وراء النهر وعاصمتهم سمرقند[66].

وأشار منجم باشي إلى زبيدة خاتون ودورها الكبير في دولة ابنها السلطان بركياروق ابن ملكشاه حتى مقتلها على يد وزير أخيه السلطان محمد بن ملكشاه سنة 492هـ/1099م بقوله: "وكانت مستولية على دولة ابنها لا يصدر شيء صغير ولا كبير إلا عن رأيها"[67].

ووصفت كوهر خاتون زوجة محمد بن ملكشاه (495-511هـ/1101-1117م) بأنها "جليلة القدر، كريمة الأصل، عظيمة الشأن"[68] وبسبب تنفذها في الدولة وسيطرتها الكبيرة، سعى كبار رجال الدولة عند احتضار زوجها السلطان محمد إلى إقناعه بأنها سبب مرضه خشية من زيادة نفوذها في دولة ابنها صغير السن محمود بن محمد، وهو الأمر الذي أدى إلى قتلها[69].

ونخلص مما سبق إلى أن الخواتين لعبن دوراً مهماً في سياسة الدولة، بل وتجاوزت بعضهن الأدوار المرسومة لهن، وقمن بالتعدي على صلاحيات غيرهن اعتماداً على حظوتهن عند السلاطين، ومن خلال ما سمحت به المصادر التي اطلعنا عليها من معلومات تمكنا من تحديد دور الخواتين في الحفاظ على العرش والتدخل في وراثة العرش، والتدخل في إدارة الدولة ثم في تنظيم العلاقات مع قوى داخلية وخارجية.

الحفاظ على العرش وولاية العهد

استمدت الخواتين نفوذهن في الدولة السلجوقية من كونهن السيدات الأول، ولذلك كان الدفاع عن العرش يعد حفاظاً على مكانتهن لأن أي تغيير في منصب السلطنة يتبعه عادة تغير في منصب الخاتون، وانتقاله إلى زوجة السلطان الجديد، لذلك قاتلت الخواتين بشكل مستميت للدفاع عن السلاطين والحفاظ على عروشهم لأنه حفاظ على مكانتهن، فالمصلحة هنا متشابكة ومتبادلة بين السلاطين والخواتين، ولهذا السبب خصص للخواتين قوات عسكرية كبيرة -ستوضح فيما بعد- لقناعة السلاطين بالولاء المطلق لتلك القوات لهم ما دامت تحت قيادة الخواتين بسبب مصلحة الخواتين الملحة ببقاء السلاطين لإبقاء مكانتهن ونفوذهن، ومن هذا المنطلق أيضاً حاولت بعض الخواتين التدخل في وراثة العرش ونقلها لأبنائهن رغبة منهن في استمرار نفوذهن في الدولة الذي سينتهي إذا تولى العهد غير أبنائهن بمجرد توليهم السلطة.

لعبت الخاتون الأولى الترنجان دوراً مهماً في الحفاظ على عرش طغرلبك وسلطانه، وكان لها دور كبير في تثبيت سلطته، فعندما ثار إبراهيم ينال على أخيه السلطان طغرلبك، واضطر الأخير لمطاردته إلى فارس، وجه جزءاً كبيراً من قواته تحت قيادة الترنجان وابنها أنوشروان (ت 455هـ/1063م) ووزيره الكندري إلى بغداد لحمايتها من هجوم متوقع لأرسلان البساسيري (قتل 451هـ/1059م) وأثناء وجودهم في بغداد بدأت الإشاعات ترد إلى بغداد عن مقتل السلطان طغرلبك مما دفع الطامعين بالسلطة إلى محاولة الاستيلاء على العرش السلجوقي، والفوز ببيعة الجند السلجوقي في بغداد، وتفويض الخليفة العباسي بذلك، وكان أبرزهم أنوشروان ابن الخاتون الترنجان الذي اتفق مع الوزير الكندري على توليته منصب السلطنة، وقاما بمحاولة إغراء قادة الجند السلجوقي في بغداد، فلما علمت الترنجان عارضت الفكرة، وقامت بقيادة قواتها للقبض على أنوشروان والكندري اللذين لم يستطيعا مواجهتها فهربا منها، مما دفعها لنهب دورهما ثم توجهت لإنقاذ السلطان المحاصر في همذان، بعد أن تبرأت أمام الجند من ولدها والوزير، وكان تحركها هذا حاسماً أجبر أنوشروان على الاستسلام لها فقيدته وصحبته إلى همذان حيث تمكنت مع السلطان من هزيمة إبراهيم ينال وقتله وهو ما سنفصل به في الدور العسكري للخواتين، ولم تطلقه حتى أطلقه السلطان نفسه، كما أجبر

موقفها هذا الكندري على اللحاق بالسلطان وإعلان الولاء له[70]، لقد كان تصرف الترنجان هذا أحد أهم العوامل في الحفاظ على سلطنة طغرلبك.

ولم يتعرض عرش السلطنة لمثل هذا الخطر حتى وفاة ملكشاه 485هـ/1092م حيث بدأ الصراع بين أبناء السلطان ملكشاه وإخوته على السلطنة، ولعبت الخواتين دوراً مهماً في هذا الصراع، فقد لعبت تركان خاتون دوراً مهماً في تولية ابنها محمود بن ملكشاه السلطنة، ودافعت بقواتها في معارك عديدة للحفاظ على عرشه، وبقيت تدافع عن عرشه حتى وفاتها سنة 487هـ/1094م[71] حيث أوصت إلى الأمراء المخلصين بحفظ السلطنة لولدها[72]. أما زبيدة خاتون فلعبت دوراً سلبياً أضر بسلطة ولدها بركياروق، بل وكانت من عوامل ضعفه بسبب انشغالها بالسكر واللهو، والإساءة إلى رجالات ولدها[73].

أما فيما يتعلق بولاية العهد، فقد لعبت الخواتين دوراً مهماً في ذلك، فقد خضع السلطان طغرلبك لرغبات الخاتون أم سليمان من أجل تولية ابنها العهد بدلاً من أخيه الأكبر ألب أرسلان بن داود جغري، كون طغرلبك كان عقيماً، فنص قبل وفاته على تولية سليمان الأمر من بعده، ولم ينص عليه سوى لأن أمه راغبة في ذلك، فتبع هواها في ولدها[74].

وهو الأمر الذي فعلته تركان خاتون التي طلبت تولية ابنها محمود الطفل عهد ملكشاه رغم وجود أبناء لملكشاه أكبر سناً منه، وهو الأمر الذي عارضه الوزير صاحب النفوذ نظام الملك الطوسي مما أدى إلى نشوب صراع عنيف بينهما انتهى بتمكن تركان من تحريض السلطان ملكشاه على وزيره، الأمر الذي أدى إلى مقتله بتدبير من السلطان[75]، ثم بعد مقتله تمكنت من إقناع السلطان بتولية ولدها، ثم جددت توليته بعد وفاة ملكشاه، وحصرت العديد من المصادر أسباب تولية ولدها محمود رغم صغر سنه إلى:

1. أن أمه تركان خاتون كانت مستولية في أيام ملكشاه، محكمة في الدولة مقدمة، ولما توفي بقي تحكمها واستمر تقدمها.
2. أن الأمراء والوزراء وأرباب الدولة كانوا من صنائعها فاختاروا ولدها وأقروا يده ويدها.
3. أن تركان كانت من أولاد الملوك ففضلوا ابنها وتقبلوا منها[76].

أما كوهر خاتون فلعبت الدور الأكبر في تولية ابنها محمود بن محمد ولاية عهد السلطنة رغم صغر سنه، وذلك لتحكم بعد توليه السلطنة قبضتها على السلطة، وهو الأمر الذي كان يعلمه معارضوها في هذا التعيين، ولما فشلوا في منع وصول محمود بن محمد لولاية العهد، وأعلن السلطان محمد وراثته لعرشه، انتهزوا فرصة مرض السلطان محمد ثم احتضاره لإقناع السلطان بأن كوهر قامت بسحره، وأن مرضه ناتج عن السحر، وكل ذلك خوفاً من تولي ابنها محمود السلطنة فيزيد تحكمها في الدولة وقد تقوم بعملية انتقام ضد رجالات الإدارة والجيش الذين عارضوا تولي ابنها العهد، ونتيجة لهذه الوشاية التي اقتنع السلطان بها قام بسمل عيونها وحبسها وقتل عدة من حاشيتها وجواريها ثم قتلت من قبل الحاشية لحظة وفاته[77].

التدخل في إدارة الدولة

تدخلت الخواتين في إدارة الدولة السلجوقية من حيث رفع مناصب بعض الإداريين أو عزل بعضهم الآخر بما لديهن من دور رسمي كملكات، إضافة إلى نفوذهن وحظوتهن لدى السلاطين وهو الأمر الذي لم نجد له شواهد في فترة السلطانين طغرلبك وألب أرسلان، وإنما بدأ مع السلطان ملكشاه وزوجته تركان خاتون ليستمر بعدها حتى نهاية الفترة مدار البحث.

لقد كان للخواتين قدرة عالية على رفع الإداريين إلى أعلى المناصب في الدولة أو الإطاحة بهم من مناصبهم، وهو الأمر الذي تنبه له نظام الملك الطوسي حيث يشير في كتابه الوصايا إلى: "ويجب السعي لاكتساب ودهن، حتى يبدأن بالحماية ويبادلن الوزير بالرعاية"[78] مما يؤكد الدور الكبير للخواتين في حماية الإداريين ورعايتهم.

ولعل من أول التدخلات في إدارة الدولة قيام تركان خاتون بالتدخل لترقية وزيرها تاج الملك القمي الخزانة السلطانية ثم رشحته لتولي وزارة ملكشاه بعد الإطاحة بنظام الملك، ولما توفي ملكشاه قبل توليه الوزارة، عينته وزيراً لولدها محمود بن ملكشاه[79].

ثم كان التدخل الكبير لزبيدة خاتون في عهد بركياروق، والتي دعمت مركز وزيرها مجد الملك القمي، فتمكن من الدولة، وبدأ خطواته بتأييد منها بعزل المستوفي الأستاذ علي وتولى منصبه، ثم قامت الخاتون ووزيرها بعزل وزير السلطان مؤيد الملك، وسجنه، وتعيين مجد الملك بمنصب وزير السلطان[80]. ومن سجنه بأصبهان أرسل الوزير المعزول مؤيد الملك رسالة إلى زبيدة خاتون توضح مدى نفوذها وتدخلها في إدارة الدولة حيث يقول: "لا تذلي من أعززته، وتبعدي من قربته، ولا تضعي من رفعته، ولا تأخذيني بغير ذنب، فيحملني على الذنب"[81]، وهو نص واضح الدلالة، فزبيدة خاتون هي التي ترفع وتخفض وتبعد

وتقرب، وتعز وتذل المسؤولين الإداريين في الدولة من أعلى مسؤول (الوزير) إلى أدناهم، وهذه القناعة لدى مؤيد الملك هي التي دفعته بعد خروجه من محبسه إلى إقناع السلطان محمد بن ملكشاه بطلب السلطنة ومنازعة بركياروق، وتولى له الوزارة، وقاد معه هجوماً على بركياروق انتهى سنة 492هـ/1098م بهزيمة بركياروق، وأسر والدته زبيدة التي ما لبث مؤيد الملك أن صادرها ثم قتلها، وذلك بسبب قيامها -كما أسلفنا- بعزله من وزارة ولدها بركياروق، وسجنه[82].

وقامت كوهرخاتون بالدور نفسه حيث بدأت بالتدخل لصالح وزيرها كمال الملك السميرمي عند السلطان محمد لترقيته في وظائف الدولة العليا، فعين مشرفاً عاماً للدولة ثم مستوفياً طيلة فترة حكم السلطان محمد بن ملكشاه، وكان ذلك كله بسبب رعاية كوهرخاتون وتعصبها له[83].

وهكذا نجد أن الخواتين تدخلن في إدارة الدولة، وعين رجالات لا يملكون خبرات سوى رعايتهن لهم، ثم تعصبن لهم واستخدمن نفوذهن لدى السلاطين لترقيتهم في مناصب الدولة العليا كما كان عدم رضاهن عن بعض كبار الموظفين سبباً في الإطاحة بهم من مناصبهم.

وأخيراً تدخلت الخواتين في التوسط لدى السلاطين للصلح مع بعض القوى السياسية الإسلامية أو عقد الهدن مع الدولة البيزنطية مثلما حدث مع خاتون الترنجان التي راسلها سنة 449هـ/1057م حاكم ميافارقين أحمد بن مروان الكردي (ت 453هـ/1061م) طالباً منها التدخل لدى السلطان طغرلبك لإقامة الصلح معه، واستجار بها وأهدى إليها هدية، فتدخلت الترنجان لدى السلطان الذي رفض بداية ثم قبل أمام إلحاحها[84]، وكذلك راسل في العام نفسه الإمبراطور البيزنطي إسحاق كومينين (449-451هـ/1057-1059م) الترنجان لاستخدام نفوذها لدى السلطان لعقد هدنة مع الإمبراطورية البيزنطية، وقد أثمر تدخلها في عقد الهدنة[85]، وهذا يؤكد معرفة القوى المحلية والخارجية بسلطة الخاتون وقدرتها على التأثير على السلطان مما دفعهم لمراسلتها ومحاولة التفاهم معها لتستخدم دورها ونفوذها من أجل عقد معاهدات الصلح أو الهدنة.

كذلك راسل الخليفة العباسي المقتدي بأمر ا تركان خاتون أكثر من مرة للتدخل بنفوذها لدى السلطان من أجل قضايا خاصة بالخليفة منها رغبة الخليفة بعدم قيام السلطان ملكشاه بإيواء وزرائه المعزولين، وتخفيف الضغوط التي يمارسها رجال الإدارة السلجوقية في بغداد على حاشية الخليفة وخواصه[86].

الدور العسكري

لعبت الخواتين دوراً عسكرياً أساسياً في الدولة السلجوقية، وعدت من المسؤولين العسكريين في الترتيب العسكري السلجوقي، حيث أصبح لهن دورهن في الترتيب العسكري السلجوقي، لذلك شاركن في معظم معارك السلاجقة الخارجية أو الداخلية [الصراع على السلطة]، وكانت تطالب بهذا الدور إلزامياً كونها أحد المقطعين الكبار في الدولة الذين يترتب عليهم تقديم خدمة عسكرية للدولة مقابل إقطاعاتهم.

وأكدت المصادر على وجود قوات عسكرية تابعة للخواتين بشكل دائم، وصرحت لبعض الخواتين بالعدد التابع لهن من القوات العسكرية التي نستطيع من خلالها تعميم ذلك العدد على جميع الخواتين، فأوردت المصادر أن خاتون الترنجان كان يتبع لها مجموعة كبيرة من الجند[87]، وإن لم تحدد عددهم، في حين حددت المصادر لتركان خاتون عشرة آلاف مقاتل تحت قيادتها، فقال السبط: "وكان في خدمتها عشرة آلاف فارس إلى أن توفيت"[88] وهو الأمر الذي ذكر لكوهر خاتون كقوات تابعة لها[89]، وبين العماد طريقة إلحاق أولئك الجند بها، فقال: "قال الكمال السميرمي لكوهر قولي للسلطان إن أجناد أذربيجان من صنائع والدي وأشياعه، وهم صاروا اليوم متبوعين وأريد أن يكتب منشوراً أنهم في اهتمامي، وأمر معاشهم يبرم بإبرامي، فأجاب السلطان سؤالها، وكتب لها مثالها، فسيرت الكتب، فقام بخدمتها الأمراء والقادة والأذربيجانية، وتبادروا إلى بابها، ووصلوا بالهدايا والتحف والألطاف، وازدحمت على بابها وفود الملوك"[90]. وقدم العماد معلومات جيدة تحدد أن هذا الطلب من الخاتون كوهر للسلطان ناتج عن تبيين الكمال السميرمي لها أن هذا من حقوقها في الدولة، وأنها مفرطة بحقها[91].

ولما كانت الخواتين يتبعهن مثل تلك القوات، وتمنع من الإقطاعات ما يكفي لإنفاقها عليهم، فقد كُن مطالباتٍ بتقديم خدمة عسكرية للدولة في المعارك التي تخوضها، الخارجية أو الداخلية، فاشتركت الخواتين بفعالية كبيرة في معارك سلاطين السلاجقة، فالخاتون الأولى الترنجان كانت إلى جانب طغرلبك أثناء دخوله لبغداد سنة 447هـ/1055م ورافقته في عملياته في شمال العراق في الموصل وسنجار، وميافارقين[92]، ثم كانت معه في حملته سنة 449هـ/1057م إلى الموصل ضد البساسيري (قتل 451هـ/1059م)[93] وقريش ابن بدران حاكم الموصل (ت 453هـ/1061م) وهي الحملة التي شهدت تمرد إبراهيم ينال أخي طغرلبك من أمه وابن عمه، مما اضطر السلطان طغرلبك للحاق بإبراهيم الذي اتجه إلى همذان عاصمة السلاجقة آنذاك للسيطرة

عليها، ولما كانت الأمور في العراق خطيرة وهناك تهديد من البساسيري بمهاجمة بغداد مستغلاً مغادرة السلطان إلى فارس، فقسم السلطان جيشه إلى قسمين الأول يرافقه إلى همذان والثاني تقوده الترنجان ومعها ابنها أنوشروان والوزير الكندري يتجه إلى بغداد لحمايتها.

وما أن بدأت الترنجان استعداداتها للدفاع عن بغداد حتى وصلتها أنباء هزيمة طغرلبك وحصاره بهمذان من قبل إبراهيم ينال، وتآمر ولدها أنوشروان والكندري لتعيين ابنها سلطانا بدلاً من طغرلبك، وهو الأمر الذي ناقشناه سابقاً، ثم وصول رسالة من طغرلبك إلى الخاتون تطالبها بنجدته والقدوم مع قواتها العسكرية إلى همذان لتخفيف الضغط عليه، الأمر الذي دفعها لمغادرة بغداد باتجاه همذان تاركة بغداد دون دفاع حقيقي بغية إنقاذ زوجها، وكان وصولها على رأس قواتها السبب الرئيس في انتصار طغرلبك على إبراهيم ينال، والواضح أنها اتصلت بطغرلبك المحاصر بهمذان واتفقت معه على إعلان وصولها ليطمع إبراهيم بمهاجمتها كونها تحمل معها خزائن السلطان، وبهذه اللحظة يخرج السلطان من همذان فيهاجمه من الخلف وتهاجمه هي من الأمام، وهو ما تم مما أدى إلى هزيمة إبراهيم ينال وقتله في سنة 450هـ/1058م، وبالتالي أنقذت الترنجان السلطان طغرلبك من أسوأ مأزق تعرض له طوال سلطنته، لا بقواتها العسكرية فقط، وإنما بالخطة المحكمة التي أوقعت بها إبراهيم، ثم بالأموال التي حافظت عليها وقدمتها لطغرلبك الذي كان يحتاجها لإنفاقها على عسكره[94].

أما الخاتون فاطمة بنت المقتدي والخاتون أم سليمان فلم يرد لهما أي دور عسكري، وربما يعود الأمر إلى أن زواجهما من طغرلبك تم بعد سنة 452هـ/1060م ولم يقم بعدها طغرلبك بحركات عسكرية كبيرة أو مهمة بل اتجه إلى إعادة تنظيم دولته.

أما خاتون السفرية زوجة ألب أرسلان، فقد شاركت عسكرياً في معارك السلاجقة أثناء حكم زوجها، ولعل أبرزها مشاركتها إلى جانب ألب أرسلان في إخضاعه لمدينة حلب، وإدخالها لسلطته وذلك سنة 462هـ/1069م[95]، ثم كانت إلى جانبه سنة 463هـ/1070م أثناء تفقده للثغور الشامية والجزرية[96]، ولما تناهت إلى أسماعه أخبار الحشد البيزنطي الكبير بقيادة الإمبراطور رومانوس (460-463هـ/1067-1071م) ثم تأكد من الخبر، راسل الإمبراطور لعقد هدنة لعدم استعداده للمعركة، فلما رفض الإمبراطور وأصبحت المعركة حتمية، قام بسحب جزء من قواته باتجاه عاصمته أصبهان للقيام بالاستعداد الجدي لمحاربة البيزنطيين، وطلب من الخاتون السفرية، ووزيره نظام الملك الطوسي، وولي عهده ملكشاه مرافقة تلك القوات ليشرفوا على تجميع القوات السلجوقية من جميع ولايات الدولة استعداداً للمعركة التالية في حالة هزيمة السلطان أمام الإمبراطور، بل أنه كان موقناً بصعوبة النصر وكان يريد أن يقوم بعمليات عسكرية ضد البيزنطيين لإعاقتها حتى تتمكن خاتون السفرية، وولي العهد والوزير من تجميع القوات استعداداً للمعركة الكبرى كما كان يخطط غير أنه نجح بهزيمة الإمبراطور وأسره في معركة ملاذكرد سنة 463هـ/1071م[97].

أما تركان خاتون فلعبت دوراً عسكرياً فعالاً وخصوصاً في سلطنة ابنها محمود الذي كانت فيها المدبرة الحقيقية لأمره، بل هي السلطان على الحقيقة، وله الاسم كونه طفلاً. فبعد وفاة ملكشاه، تولت تركان خاتون الأمور بالدولة، وبايعت لابنها الطفل محمود سلطاناً للدولة السلجوقية، وبدأت الاستعداد للقضاء على منافسيه في الحكم، فأرسلت إلى أصبهان للقبض على بركياروق الابن الأكبر لملكشاه، ولما أفلت من القبض عليه، سارت للقضاء عليه، وقادت الجيش بنفسها إلا أنها هزمت فاستقرت في أصبهان، وحافظت على أملاك ولدها حتى وفاتها سنة 487هـ/1094م[98].

وأما زبيدة خاتون أم بركياروق فلم تلعب دوراً في تثبيت حكم ولدها بل إن المصادر تعتبر بعض خسائر ولدها بركياروق العسكرية ناتجة عن انشغالها بأمورها الخاصة ولهوها عن مساندة ولدها، فالأصفهاني يقول عنها أثناء توجه تتش بن ألب أرسلان حاكم بلاد الشام السلجوقي [471-487هـ/1078-1094م] للاستيلاء على سلطنة السلاجقة "ووصلوا إلى بغداد سنة ست وثمانين [السلطان ووالدته وقادة جيشه] واختاروا المقام فيها وألهتهم مغانيها، وأم السلطان قد خلعت عذارها ولاثت على شرب الخمر خمارها... وكمشتكين [قائد قوات بركياروق] مع والدة السلطان زبيدة لا تعرف مكر العدو ولا كيده"[99] محملاً إياها الفشل في المبادرة باتجاه تتش. أما كوهر خاتون فرغم وجود قوات كبيرة تابعة لها إلا أن المصادر لم تسعفنا في أي مشاركة عسكرية لها.

وفي ختام الموضوع يجب التنويه هنا إلى أن هناك من اعترض على الدور الرسمي والكبير الذي لعبته الخواتين، ونبعت تلك المعارضة إما من تصور ديني يرى أن الدولة لا يجب أن تتدخل في شؤونها المرأة، أو من منطلق الصراع مع الخواتين من قبل إداريين أو عسكريين اصطدموا بالخواتين، فشنوا انتقادات عنيفة لدور الخاتون السياسي والعسكري، وللأسف فإننا لم نجد صدى إيجابياً أو سلبياً لدور

المرأة في كتب الفقه أو النصائح التي تعود للفترة مدار البحث.

ومن أوائل الإشارات التي وردت في انتقاد سلطة الخاتون، الملاحظات المهمة التي أوردها نظام الملك الطوسي في كتابة "سياست نامة" في إطار صراعه مع تركان خاتون، حيث وجه انتقاداً عنيفاً لتدخل المرأة في السياسة محذراً السلطان ملكشاه من خطورة ممارسة النساء للسلطة، فيقول: "يجب عدم تمكين من هم تحت سلطة الملك وفي خدمته من أن يكون لهم نفوذ وقوة لما ينجم عن هذا من إخلال عظيم بالملك يذهب بجلاله وابهته وهيبته وأخص من هؤلاء النساء، فهن محجبات مستورات، ناقصات العقول، الغاية منهن الإنجاب، وفي الوقت الذي تمتد فيه أيدي نساء الملك إلى السلطة، ويتدخلن في شؤون الحكم فإن دورهن لا يتعدى ما يوحي به إليهن ذوو المآرب والأطماع الخاصة لأن ليس لهن القدرة على استطلاع الأحوال في الخارج برأي العين، معظم أوامرهن تصدر بوحي من أقوال متصدري أكثر شؤونهن فينشأ الفساد ويضار الملك ويتسرب الخلل إلى الدين والملك... ويلحق الأذى والهوان بكبار رجال الدولة أنه لم ينتج عن تسلط زوج أي ملك عليه في أي عصر –على مر العصور- سوى الذل والعار"[100].

كذلك انتقد الوزير العباسي المتدين أبو شجاع الروذراوري (ت 488هـ/1095م) نفوذ المرأة السلجوقية في إطار تعليقه على نفوذ والدة صمصام الدولة البويهي عليه حيث يقول: "والدولة إذا كفلها النساء فسدت أحوالها، ووهنت أسبابها، وبدأ اختلالها، وولى إقبالها، والرأي إذا شاركن فيه قل سداده وضل رشاده، وعند ذلك يكون الفساد إلى الأمور أسرع من السيل إلى الحدود"[101].

وانتقد الأمير يلبرد (قتل 486هـ/1093م) أحد كبار قادة بركياروق نفوذ والدته زبيدة خاتون وتكلم بحقها بكلام شنيع على حد تعبير ابن الأثير وهو أمر ناتج عن سيطرة زبيدة على شؤون ابنها وانهماكها في الملذات والسكر، وترك تدبير الدولة، فكان عقابه القتل على ذلك الانتقاد[102].

الخاتمـة

خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج هي:

أولاً: لعب التراث التركي القبلي للقبائل التركية قبل الإسلام دوراً مهماً في إعلاء مكانة زوجات السلاطين السلاجقة في الفترة مدار البحث، وهو الأمر الذي أكده أكثر من مؤرخ معاصر لهم.

ثانيـاً: قامت الخواتين (زوجات السلاطين) بدور سياسي مهم في الدولة السلجوقية، تميز بكونه مقنن، بمعنى أنه دور رسمي قانوني على خلاف ما كان قبل السلاجقة حيث لعبت نساء الخلفاء أو الأمراء أو الملوك المسلمين أدواراً في النظام السياسي غير أنه كان من وراء ستارة وغير مدعم بقانون يمنحهن ذلك الحق.

ثالثـاً: منحت الخواتين ألقابا رسمية في الدولة، سواء من الخلفاء أو السلاطين مما يدل على الصفة الرسمية لهن في هرم السلطة.

رابعـاً: تميز العصر السلجوقي بوجود إدارة مدنية وعسكرية تابعة لزوجات السلاطين ليمارسن من خلالها الدور السياسي أو العسكري المرسوم لهن، وعرفت تلك الإدارة باسم الديوان الخاتوني، وهو الأمر الذي يحدث لأول مرة في تاريخ الدول الإسلامية.

خامساً: مارست الخواتين دوراً عسكرياً في الدولة السلجوقية، وخصص لهن فرق عسكرية يقمن بقيادتها عديدها عشرة آلاف مقاتل، ولذلك طلب من الخواتين تقديم مساعدات عسكرية في المعارك التي خاضتها الدولة السلجوقية في الفترة مدار البحث.

سادساً: منحت الخواتين مجموعة من الإقطاعات ليتمكن من القيام بالدور السياسي العسكري المنوط بهن، والإنفاق على الإدارة والمقاتلين التابعين لهن.

سابعـاً: تدخلت الخواتين بشكل واضح في إدارة الدولة، فقمن بعزل بعض وزراء السلاطين وكبار موظفي الدولة، أو بتعيين وترقية بعض الموظفين للرتب العليا في الدولة.

ثامنـاً: واجه الدور الذي لعبته الخواتين في السياسة والإدارة والجيش معارضة قوية من بعض المعاصرين لهن سواء من رجال الإدارة المدنية أو العسكرية السلجوقية، غير أن تلك المعارضة لم تجد قبولاً أو اهتماماً من قبل السلاطين بل ذهب المعترضون ضحية اعتراضهم، فقتلوا من قبل السلاطين.

الهوامش

(1) البيهقي، تاريخ البيهقي، ص663، الحسيني، زبدة التواريخ، ص11، الراوندي، راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص158، وسيشار إليه فيما بعد: الراوندي، راحة الصدور، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص92.

(2) انظر مثلاً الدور الذي لعبته أم المقتدر العباسي في عهد ابنها، أو دور والدة مجد الدولة بن فخر الدولة البويهي حيث وصفت بأن "الحكم كان إليها في جميع أعمال ابنها"، ودور والدة صمصام الدولة البويهي عليه. أبو شجاع الروذراوري، ذيل تجارب الأمم، ج7، ص129-130، ذيل، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص203.

(3) أكرم باموقجي، زوجات وأمهات تركيات، مجلة ميزوبوتاميا، بغداد، ع2-3، 2004م، ص3 نقلاً عن كتاب ديوان لغات الترك.

(4) باموقجي، زوجات: 3 نقلاً عن كتاب الأوغوزنامة.

(5) عبدالهادي محبوبة، نظام الملك، ص503 نقلاً عن كتاب الوصايا لنظام الملك الطوسي.

(6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص175، مادة ختن.

(7) ابن العمراني، الإنباء في تاريخ الخلفاء، ص190، 195، الراوندي، راحة الصدور: 207، 216، 278، الحسيني، زبدة التواريخ: 155، 160، 171، منجم باشي، جامع الدول، ج1، ص23، 51، 71، 80، 95.

(8) ابن الأثير، الكامل: 215/10، 224.

(9) المصدر السابق: 252/10.

(10) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حوادث (440-490هـ).

(11) ابن الموصلايا، رسائل أمين الدولة، ص434. واستمر لقب الملكة وملكة نساء العالم لقباً للخواتين بعد الفترة مدار البحث وحتى سقوط الدولة السلجوقية في فارس والعراق. انظر: البيهقي، تاريخ البيهقي، ص483،449.

(12) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 212-213.

(13) المصدر السابق: 69.

(14) ابن الموصلايا، رسائل: 434.

(15) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج16، ص65، العماد الأصفهاني، نصرة الفترة وعصرة الفطرة، رقم (2145) ARABE، ق 18ب، وسيشار إليه فيما بعد: الأصفهاني، نصرة الفترة، ابن الأثير، الكامل: 22/10، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 165.

(16) المنتظم: 83/16.

(17) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 321.

(18) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق 114أ.

(19) زبدة التواريخ، 155.

(20) واحة الصدور: 216.

(21) المصدر السابق: 218.

(22) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 211.

(23) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق114ب.

(24) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، ص470. وقد انعكس قيام هذا الديوان على الخواتين بنات السلاطين اللاتي تزوجن من الخلفاء العباسيين حيث يذكر أن الخاتون ابنة ملكشاه زوجة الخليفة المقتدي لما أرسلت إلى بغداد لإتمام زواجها بالمقتدي قام السلطان بترتيب ديوان لها ليقوم بمهام المراسلة منها وإليها والإشراف على أمورها وعلى العسكريين التابعين لها، ووزر لها بوزير يعرف بمعز الملك وكاتب اسمه أبو الحسن بن حكار، انظر: ماري بن سليمان (ت ق 6هـ/ق 13م)، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، ص133.

(25) القلقشندي، صبح الأعشى: 470/5.

(26) ابن الموصلايا، رسائل: 434، 435.

(27) المصدر السابق: 436.

(28) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 200.

(29) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق107أ، العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة أهل العصر، قسم فضلاء أهل فارس، ص84.

(30) البيهقي، تاريخ بيهق: 490.

(31) المصدر السابق: 493.

(32) نصرة الفترة: ق114ب.

(33) المصدر السابق: ق114ب.

(34) المصدر السابق: ق115أ.

(35) المصدر السابق: ق113ب، 114أ.

(36) المصدر السابق: ق72ب، الراوندي، راحة الصدور: 27، الحسيني، زبدة التواريخ: 140، خواندمير، دستور الوزراء، ص257.

(37) الكامل: 216/10.

(38) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق55ب.

(39) المصدر السابق: ق55ب، عباس إقبال، الوزارة في عهد السلاجقة، ص144-146.

(40) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق75ب، ابن الأثير، الكامل: 289/10-290، إقبال، الوزارة: 160.

(41) ابن الأثير، الكامل: 270/10.

(42) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق95أ، إقبال، الوزارة: 254، 372.

(43) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق 95أ، ق 113-114، إقبال، الوزارة: 254.

(44) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق114، كارلا كلاوستر، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، الوزارة أنموذجاً (1055هـ-1194م)، ص88-89.

(45) المصدر السابق: ق 114.
(46) المصدر السابق: ق107أ، الأصفهاني، خريدة القصر: 84.
(47) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق107أ.
(48) المصدر السابق: 114أ.
(49) الأصفهاني، خريدة القصر: 86.
(50) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 115.
(51) ابن الأثير، الكامل: 240/10، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 498، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج10، ص235.
(52) الأصفهاني، نصرة الفترة: ق114.
(53) المصدر السابق: ق114.
(54) ابن الموصلايا، رسائل: 434.
(55) نظام الملك، سياست نامه، ص224.
(56) البيهقي، تاريخ بيهق: 449، 483، ابن الأثير، الكامل: 652/10.
(57) ابن الجوزي، المنتظم: 65/16.
(58) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 162.
(59) المصدر السابق: 162.
(60) تاريخ الزمان: 105.
(61) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، ص1978.
(62) ابن الموصلايا، رسائل: 435.
(63) نصرة الفترة: 72أ.
(64) زبدة التواريخ: 155.
(65) تاريخ الإسلام (حوادث 481-490هـ): 25.
(66) ابن الأثير، الكامل: 41/10.
(67) منجم باشي، جامع الدول: 71/1.
(68) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 95أ.
(69) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 122أ، منجم باشي، جامع الدول: 95/1.
(70) ابن الجوزي، المنتظم: 31/16، العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق12-13ن سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 113-115.
(71) ابن الجوزي، المنتظم: 300/16، العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق72، الحسيني، زبدة التواريخ: 155، اليزدي، العراضة في الحكاية السلجوقية، ص59، منجم باشي، جامع الدول: 12-65.
(72) ابن الأثير، الكامل: 240/10.
(73) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 73.
(74) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 193، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص69، منجم باشي، جامع الدول: 26/1.
(75) الراوندي، راحة الصدور: 207، 208، منجم باشي، جامع الدول: 55/1.
(76) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 572، الحسيني، زبدة التواريخ: 155، اليزدي، العراضة: 72، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 478.
(77) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق122أ، منجم باشي، جامع التواريخ: 95/1.
(78) عبدالهادي محبوبة، نظام الملك: 503 نقلاً عن كتاب الوصايا لنظام الملك.
(79) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق72ب، الراوندي، راحة الصدور: 27، خواندمير، دستور الوزراء:257.
(80) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق75أ، كلاوستر، الإدارة: 96-97.
(81) المصدر السابق: ق75ب.
(82) المصدر السابق: ق77ب.
(83) المصدر السابق: ق115ب.
(84) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 69.
(85) المصدر السابق: 69.
(86) ابن الموصلايا، رسائل: 434-437.
(87) ابن الجوزي، المنتظم: 31/16، العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 13أ، ابن الأثير، الكامل: 641/9، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 115.
(88) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 498، وانظر أيضاً: ابن الأثير، الكامل: 240/10، الصفدي، الوافي بالوفيات: 235/10.
(89) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 114أ.
(90) المصدر السابق: 114ب.
(91) يبدو أن هذا التقليد السلجوقي انتقل إلى بناتهم ممن تزوجن الخلفاء العباسيين حيث تبعت لهن قوات عسكرية في بغداد. انظر: ابن الجوزي، المنتظم: 277/16-278، ابن الأثير، الكامل: 165/10.
(92) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 69.
(93) أبو الحارث أرسلان بن عبدا البساسيري، قائد الجند الأتراك في جيش البويهيين ثم قائد الجيش في عهد الملك الرحيم آخر حكام البويهيين في بغداد، تمرد على الخلافة العباسي، واتصل بالخليفة الفاطمي المستنصر با ، وقاد باسمه هجوماً على بغداد سنة 450هـ/1058م استطاع به السيطرة عليها وسجن الخليفة العباسي القائم بأمر ا إلا أن القوات السلجوقية بقيادة طغرلبك سرعان ما هزمته وقتلته سنة 451هـ/1059م. انظر عنه: ابن الموصلايا، رسائل: 76-82.
(94) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج9، ص408، ابن العمراني، الانباء: 192-196، ابن الجوزي، المنتظم: 30/16-31، العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: ق 12-12ن سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 112-113، 124.
(95) ابن العديم، بغية الطلب: 1978/4.
(96) الثغور الشامية هي: طرسوس وأذنة والمصيصة وعين زربة والهارونية وبياس، أما الجزرية فهي: الحدث وكيسوم وحصن منصور وملطية وشميشاط. انظر عنها:

قدامة بن جعفر (328هـ/949م)، الخراج وصناعة الكتابة، ص186-187.

(97) الحسيني، زبدة التواريخ: 108-109، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 281، منجم باشي، جامع الدول: 35.

(98) ابن الأثير، الكامل: 214/10، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: 488.

(99) العماد الأصفهاني، نصرة الفترة: 73ب-74أ.

(100) نظام الملك، سياست نامه: 223-224.

(101) أبو شجاع، ذيل: 129/7-130.

(102) ابن الأثير، الكامل: 226/10.

المصادر والمراجع

ابن الأثير، عز الدين علي بن محمد (ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، 1966م.

ابن جعفر قدامة (ت 328هـ/949م)، الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي، 1981م، دار الرشيد، بغداد.

ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 597هـ/1200م)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، 1992م، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن خلكان، شمس الدين أحمد (ت 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، 1974م، دار صادر، بيروت.

ابن سليمان، ماري (ت ق 6هـ/ق 13م)، أخبار بطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، تحقيق جيسموندي، دار المثنى، بغداد.

ابن العبري، أبو الفرج غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/1286م)، تاريخ الزمان، ترجمة إسحاق أرملة، 1986م، دار الشروق، بيروت.

ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت 660هـ/1261م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار، 1988م، دار الفكر، دمشق.

ابن العمراني، محمد بن علي (ت 580هـ/1184م)، الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق قاسم السامرائي، 1999م، دار الآفاق العربية، القاهرة.

ابن الموصلايا، أمين الدولة العلاء بن الحسن (ت 497هـ/1104م)، رسائل أمين الدولة، تحقيق عصام عقله، 2003م، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين.

أبو شجاع الروذراوري، محمد بن الحسين (ت 488هـ/1095م)، ذيل تجارب الأمم، تحقيق أبو القاسم أمامي، 2000م، دار سروش، طهران.

اقبال، عباس، الوزارة في عهد السلاجقة، ترجمة أحمد كمال الدين، 1984م، جامعة الكويت، الكويت.

البيهقي، علي بن زيد (ت 565 هـ/1169م)، تاريخ بيهق، ترجمة يوسف الهادي، 2004م، دار اقرأ، دمشق.

البيهقي، محمد بن الحسن (ت 470هـ/ 1077م)، تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، 1956م، دار الطباعة، القاهرة.

الحسيني، صدر الدين علي بن ناصر (ت 622هـ/1225م)، زبدة التواريخ، تحقيق محمد نور الدين، 1986م، دار اقرأ، بيروت.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت 463هـ/1070م)، تاريخ بغداد، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، 1997م، دار الكتب العلمية، بيروت.

خواندمير، غياث الدين بن همام الدين (ت 942هـ/1539م)، دستور الوزراء، ترجمة حربي أمين وفؤاد الصياد، 1980م الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

الراوندي، محمد بن علي بن سليمان (ت 602هـ/1204م)، راحة الصدور آية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة عبد النعيم حسنين وفؤاد الصياد وإبراهيم الشواربي، 1960م، دار القلم، القاهرة.

سبط ابن الجوزي، يوسف بن قزأوغلي (ت 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، حوادث (440-490هـ)، تحقيق قاسم يزبك، 1984م، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القديس، بيروت.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/1362م)، الوافي بالوفيات، تحقيق مجموعة من الأساتذة، 1997م، دار فرانز شتاينر، بيروت.

العماد الأصفهاني، محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ/1200م)، خريدة القصر وجريدة أهل العصر، قسم فضلاء أهل فارس، تحقيق عدنان آل طعمه، مرآة التراث. نصرة الفترة وعصرة القطرة، مخطوطة المكتبة الأهلية، باريس، رقم (2145، ARABE).

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت 817هـ/ 1414م)، القاموس المحيط، دار الفكر، بيروت، 1995م.

القلقشندي، أحمد بن علي (ت 821هـ/1418م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، شرح وتعليق محمد حسين شمس الدين، 1987م، دار الفكر، بيروت.

كلاوستر، كارلا، دراسة في الإدارة المدنية في العصر العباسي، الوزارة نموذجا (1055م-1194م) ترجمة عبد الجبار ناجي، 2001م، بيت الحكمة، بغداد.

محبوبة، عبد الهادي محمد رضا، الملك، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1999م.

منجم باشي، أحمد بن لطف ا (ت 1113هـ/1702م)، جامع الدول، تحقيق علي اوكول، 2000م، دار الكتب الأكاديمية، ازمير.

موقجي، أكرم، زوجات وأمهات تركيات، ترجمة نصرت مروان، 2000م، مجلة ميزوبوتاميا، بغداد، ع4-3.

نظام الملك، الحسين بن علي الطوسي (قتل 485هـ/1092م)، سياست نامه، ترجمة يوسف بكار، 1987م، دار الثقافة، قطر.

اليزدي، محمد بن محمد الحسيني (ت 743هـ/1342م)، العراضة في الحكاية السلجوقية، ترجمة عبد النعيم حسنين وحسين أمين، 1979م، جامعة بغداد، بغداد.

Woman and Authority in Islam
Khatoons of Seljuk (447-511 A.H. – 1055- 1117 A.D.)
(Model)

*Isam M. Oklah**

ABSTRACT

This study sought to illuminate the role played by the Seljuki woman in the political, administrative and military systems throughout 447-511A.H, 1055-1117A.D. More specifically, the study attempted to identify the actual extent of this role in the above mentioned aspects, as well as addressing the magnitude of the Seljuki woman's administrative and financial independence, and outlining the administrative branches that were under her control. As Seljuki women used to enjoy a great political position which enabled them to carry out that great role in the effort to explain factors that might account for that greatness of role.

The study concluded that the pre-Islamic Turkish origins and tribal heritage had a huge impact on developing this role for the Saljuki Sultans' wives, and made it very distinctive compared to that of the wives of the Caliphs, Princes or Kings who ruled, the Islamic Saljuki woman used to have on administration of her own, along with military troops that she would lead in battles. In short she enjoyed an enormous role in the state's internal and foreign policy.

Keywords: The Sljuki Woman, The Seljuki Administration, The Political Role of the Seljuki Woman.

* Department of History, Faculty of Humanities and Social Sciences, University of Jordan. Received on 8/6/2006 and Accepted for Publication on 13/12/2006.